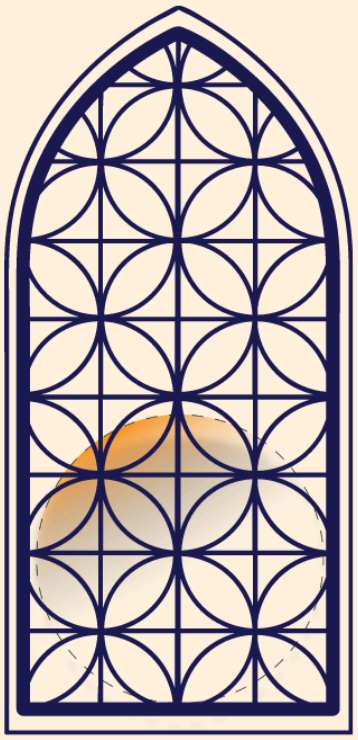

لقاءات التفسير الرمضانية

أ . أناهيد بنت عيد السميري

١٤٤٣ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

السبت 1 رمضان 1443

سورة البقرة الآيات (١٠٩ - ١١٥)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم بارك لنا في شهرنا، اللهم بارك لنا في نهارنا وليلنا، اللهم بارك لنا في قوانا وأعمالنا، اللهم خذ بأيدينا إلى رضاك، اللهم زدنا إيمانًا وتقوى واجعل أعمالنا خالصة لوجهك.

نبدأ لقاؤنا الأول هذا من لقاءات هذا الشهر المبارك؛ شهر الخير والبركة على الأمة جميعًا، شهر خصه الله -عزّ وجلّ- بإنزال القرآن فيه، وجعل الصيام شكرًا لله على هذا الإنزال، شهر كان فيه رسولنا الكريم يتدارس مع جبريل القرآن، فكانت السنة مدارسة القرآن وقراءته والعناية به.

نبدأ في هذا اللقاء الأول ونتدارس هذه الآيات العظيمة من الجزء الأول من سورة البقرة، نقرأ بإذن الله ونتدارس من الآية: (109) إلى الآية: (115) من سورة البقرة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110) وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115))

نبدأ بفهم هذه الآيات المباركات من سورة البقرة، ونبدأ بالآية: (109) والخبر الذي ورد فيها، الخبر العظيم الذي على سائر المؤمنين أن يكونوا على بصيرة فيه، فقد أخبر -عزّ وجلّ- عمّا يودّه أهل الكفر لأهل الإيمان، فإن كثيرًا من أهل الكتاب يحبون أن يردوا أهل الإيمان عن إيمانهم:

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

فإذا غيّبنا هذه الحقيقة عن أذهاننا سنتجاهل كثيرًا من الأعمال التي تترجم هذه الرغبة في قلوب أهل الكتاب، إن كثيرًا من أهل الكتاب -ليس الكل لأن البعض أصلًا مشغول عن الكتاب وعن الإيمان وعن العقائد بالدنيا- كما أخبر ربنا العليم الحكيم، كثير منهم يحبون هذا الأمر ويرغبون فيه، وهذا سببه واضح! سببه: الحسد، فهذه الآية فيها بيان عظيم لحسد كثير من أهل الكتاب وأن الحال بلغت بهم أنهم ودوا (لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا) وسعوا في ذلك وعملوا المكائد، لكن كيدهم بأمر الله عائد عليهم. إذًا أعلمنا رب العالمين بعداوتهم لنا في الباطن والظاهر، وإذا أعلمنا ما اشتملت قلوبهم من حسد للمؤمنين، كان الواجب الحذر من هذه المكائد، خصوصًا أن أهل الكتاب، هؤلاء الحسدة يعلمون صحة رسالة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لذلك بيّن الله -عزّ وجلّ- العلّة فقال: (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) فماذا نفعل؟ (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) أعرضوا عمّا يكون منهم من الجهل والعداوة ولا تتركوهم يوقعونكم في مكائدهم، بل أعرضوا عنهم إعراضًا تامًا ولا تجعلوهم يستفزونكم استفزازًا يشغلكم عن طاعة الله، وهذا سيتبين في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ).

إذًا هذه الآية العظيمة تخبرنا عن واقع يعيشه أهل الإسلام، وهو عداوة كثير من أهل الكتاب؛ عداوتهم المبنية على الحسد، عداوتهم التي يرغبون فيها في رد أهل الإيمان عن الإيمان، فحين تريد أن تفهم واقع ظهور الإلحاد في ديار أهل الإسلام فسره بهذه الآية العظيمة؛ إن لأهل الكفر مكائد يكيدون بها أهل الإسلام ليردوهم عن الإيمان بعدما حصل الإيمان، وهذا (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) بعدما تبين لهم أن هذا هو الحق وأن هذا هو سبب دخول الجنات ورضا رب العالمين. أليس الأولى بعدما عرفوا أنه الحق أن يتابعوه؟ لكن هل كل من عرف الأولى فعله؟ ليس كل من عرف أن هذا أولى وهذا أفضل استطاع أن يتخطى ما في نفسه من شر واتبع الحقّ، ليس كل من عرف الحق اتبعه. فالحسد عندما يسيطر على الإنسان -نعوذ بالله- هذا الحسد يجعله يُعمى عن الحق ويصبح عدوًا للحق، ويصبح حربًا على الحق؛ لذلك حذرنا رب العالمين، وفي ضمن هذه الآية نفهم أمرًا عظيمًا:

أن الحسد حاصل بسبب ما نحن فيه من نعمة عظيمة؛ إنها نعمة الإيمان التي يحرص هؤلاء على إخراجنا منها، إنها نعمة الإيمان، إنها نعمة الهداية التي خصنا بها الله، فهم يحسدوننا على ما آتانا الله من الخير الذي يهدي إلى الجنات؛ لأن الحسد هو: القلق الذي يكون في النفس من رؤية النعمة على الغير. فهم قد بلغوا من الحسد غايته، وهذا دليل على أننا منعم علينا بالإيمان، نسأل الله أن يحفظ علينا هذه النعمة

وجميع نعمائه -عزّ وجلّ- نعمة الإيمان نعمة عظيمة نحسد عليها والجاهلون فقط هم الذين لا يشعرون بهذه النعمة العظيمة ولا يشعرون أننا محسودون عليها، فليكن كلام ربنا بصائر لنا، إنها نعمة الإيمان، نعمة القرآن، نعمة إرسال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، نعمة السنة، كل هذا نحسد عليه؛ لذلك يكاد لأهل الإيمان لكي يرتدوا عن الإيمان، نسأل الله أن يثبتنا ويصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعًا. فلنكن متمسكين بالحق الذي جاء به رسولنا الكريم، ولنكن معرضين عن كل هذه المكائد.

🏵️ثم أمرنا ربنا:

(فَاعْفُوا) أي: عاملوهم معاملة العافي، بأن لا نذكر لهم شيئًا مما يظهرونه من هذه المكائد، بل نعرض عنها ونتجنبهم تمامًا فإنهم لا يضرونا، خصوصًا لو التفتنا عنهم وابتعدنا عنهم.

(وَاصْفَحُوا) (الصفح) أي: الإعراض بصفحة العنق، أظهروا لهم أنكم لستم مطّلعين وأعرضوا عنهم تمامًا وكأنكم لستم مبالين بهم، فلا تجعلوه موضوع يشغلكم عمّا أنتم فيه لكن كونوا على ثقة أن الله سيأتي بأمره، فلنستبشر بهذا، ولنكن على يقين أن رب العالمين يسبب الأسباب لنصرة الدين، ألسنا نعلم هذا الخبر عن رب العالمين.

ثم نسمع كيف يختم هذه الآية العظيمة بهذه الصفة العظيمة:

(إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهذه بشرى للمؤمنين، أن رب العالمين سيدفع عدوهم وسيرفع شأنهم وسيحفظ لهم إيمانهم إن فعلوا ما أمرهم واعتقدوا ما يجب عليهم اعتقاده. فبماذا أمرنا رب العالمين؟ أمرنا ألا نشتغل بمكائد الكافرين، بل نعرض عنها ونقيم الصلاة.

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

أعرضوا عنهم وأقبلوا على إصلاح أنفسكم بالصلاة وبالإحسان فيما بينكم بإيتاء الزكاة، واعلموا أن ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، نلاحظ هذه الأنفس الزكية التي تتزكى بالإيمان وبالصلاة وبالزكاة وبكل عمل خير، وانظر إلى الآية التي قبلها، وانظر لتلك الأنفس الخبيثة التي استقر فيها الحسد (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) فإن كانوا هم يفعلون الأفعال صادرة من خبث أنفسهم ومن حسدها، فلتكونوا أنتم مشغولون بأن تقدموا لأنفسكم الخير. يا أيها المؤمنون لتعلموا أن كل طاعة إنما هي لكم، إنما تقدمونها لأنفسكم والله غني عنكم. ما تقدمون لأنفسكم شيئًا من الخيرات إنما تقدمونه لمصلحة أنفسكم، لتزكية أنفسكم وطهارتها، واعلموا أن الله -عزّ وجلّ- لا يظلمكم شيئًا، طهرتم أنفسكم وبذلتم جهودكم، تجدوا أجركم عند الله، تجدوا الثواب العظيم عند رب العالمين. فيا لله كم الفرق العظيم بين حسد أهل الكتاب الذي أكل نفوسهم وبين ما أمر به أهل الإيمان من شغل نفوسهم به!

شيء عظيم! فانظروا كيف أمرنا رب العالمين بما يصلح نفوسنا، إننا نقدم لأنفسنا، فليكن عملنا في هذا الشهر المبارك عمل من يقدم لنفسه راغبًا في النجاة عند ربه (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم) وما تقدم هو لنفسك وليس لغيرك، إنك بهذه الصلاة وبهذه الزكاة وبكل الأعمال الصالحة التي هي الخير، تزكي نفسك. والتزكية: طهارة تزيل كل قاذورات النفس وكل ما يلحق بها من شر. وهذا كله يجده الإنسان عند رب العالمين وافرًا.

ولنعلم علم اليقين أن ربنا العظيم يحفظ لنا هذه الأعمال وهذا البذل لأننا متأكدون أن هذا وصف رب العالمين (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) مهما كان عملكم صغيرًا أو كبيرًا تجدوه عند الله العظيم فهو يربّيه لكم بما له من الكرم والرحمة، إنه ربنا الشكور الذي يعطي على العمل القليل الأجر الكبير، فلا تبخل على نفسك، إنك تعامل الله (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يبصر ما في صدوركم من إرادة الخير، يبصر أعمالكم فلا تغيب عنه أبدًا وستجدون هذا كله عند الله حاضرًا.

ثم يخبرنا -عزّ وجلّ- عن هذه الأفكار والاعتقادات التي يتكلم بها هؤلاء من غير علم، ويجعلونها سببًا للكبر على الخلق، ويعاملون الخلق كأنهم هم الناجون وغيرهم هم الهالكون، فديدنهم قلب الحقائق!

يعلمون أن أهل الإيمان هم أهل النجاة ويحسدونهم على ذلك ويكيدون لهم المكائد ثم يقولون متكبرين على الخلق:

(وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

(لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) فهذا تخليط ونوع من أنواع إلقاء الشبه في نفوس المسلمين، فاليهود تقول إنهم هم وحدهم الداخلين الجنة، والنصارى تقول إنهم هم وحدهم الداخلين الجنة، والحق أن رب العالمين ما جعل الأمر على الأماني (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) هذه أماني باطلة، إنما (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) الأمر ليس مجرد أماني، ليس مجرد شهوات، إنهم لا يريدون لأهل الإيمان النجاة ولا يودون أن ينزل على المؤمنين خير من ربهم ويريدون أن يردونهم كفارًا ولا يريدون أن يدخل الجنة غيرهم، وكل هذه أماني ليس لها براهين! لذلك أهل الإيمان ليسوا أهل أماني، إنما هم سائرون على ما أخبرهم به الرسول الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- : «الكيِّسُ مَنْ دَانَ نفْسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموْتِ، والعاجزُ مَنْ أتْبعَ نَفْسَه هواها، وتمنَّي علَي اللهِ»[1] هذا هو العاجز!

تصور كيف تدل هذه الآيات المتتابعات أهل الإيمان على الطريق؛ أخبرهم ربنا أن الكفار يحسدونهم ويكيدون لهم المكائد، وأنتم يا أهل الإيمان لا تشتغلوا بهم، بل أقيموا الصلاة

---

[1]() أخرجه الترمذي (2459).

وآتوا الزكاة، قدموا لأنفسكم وأنتم باذلون جهدكم في تطهيرها، عالمون أنكم غدًا ستجدون عند ربكم هذه الأعمال عندما تلقونه، ولتعلموا أن اليهود والنصارى يعيشون على الأماني، لكن أنتم كونوا من أهل الكياسة «الكيِّسُ مَنْ دَانَ نفْسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموْتِ» ولا تكونوا مثلهم في السير على الأماني. لذلك أخبر -عزّ وجلّ- مَن الذي سيكون في الجنة، مَن الشخص الذي سيكون مصيره إلى جنات النعيم، لما قال لهم: (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أثبت -عزّ وجلّ- دخول الجنة لغيرهم بقوله:

(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) هنا بيّن -عزّ وجلّ- مَن هم الذين يستحقون دخول الجنة على الحقيقة، من فضل الله عليهم أن وفقهم لهذه الصفات. فلما قال -عزّ وجلّ- : (بَلَىٰ) أي أن ما ادعيتموه باطل وأن هذه الصفات هي الحق؛ لا تفوزون بالجنة إلا إذا أسلمتم وجوهكم لله وأحسنتم، فيأتينا هنا سؤال:

ما معنى أن نسلم وجهنا لله؟

هذا هو أصل الدين، هذا هو دين الإسلام، تسلم وجهك لله، تسلمه كله لله، بمعنى تستسلم لله، تستسلم للعقائد التي يجب أن تعتقدها وللأعمال التي يجب أن تعلمها وللأقدار التي هي اختبارات لك، إنه الدين، إسلام الوجه لرب العالمين إخلاصًا

وإنابة وتوجهًا بالقلب إليه وهو محسن، يعمل الأعمال بأحسن ما يكون، يعمل الأعمال التي أمره بها رب العالمين على سنة النبي الكريم، أولئك وحدهم هم أهل الجنة، هؤلاء الذين لهم أجرهم عند ربهم، هؤلاء (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، هؤلاء لن يكونوا على الأماني متّكلين، بل هؤلاء في ربهم طامعون، ولإحسانه منتظرون؛ لأنهم فعلوا ما يحب الله ويرضاه من إسلام الوجه، بمعنى الاستسلام لله خالصًا لله، يبعدون عن الشرك الأكبر والأصغر، ويكونون محسنين في متابعتهم للنبي -صلّى الله عليه وسلّم-، فهؤلاء لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب. فالحمد لله الذي أرشد أهل الإيمان كيف تكون النجاة لكيلا يكونون مغترين مثل مَن وصف من اليهود والنصارى؛ لأن كل فرقة ادعت أنهم من أهل الجنة بدون برهان، فكذّبهم ربنا الرحمن، وأخبرهم أنهم معذبون بذنوبهم ودلّ الصادقين من الخلق على الطريق الذي تكون به النجاة، فالأمر ليس أماني. وهذا الخطاب يقال لأهل الإيمان أيضا؛ الأمر ليس أماني، إنما الأمر حقًا حقًا، فالواجب أن يكون هناك برهان؛ لذلك قد أخبر ربنا الرحمن عن هؤلاء الذين ليس معهم استسلام لله، وليس معهم توحيد، وليس معهم ذل وانكسار لرب العالمين، أخبر عنهم أنهم يوم القيامة يأتون وهذه حالهم: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ

يَجِدْهُ شَيْئًا)[2] فنعوذ بالله من خيبة الأمل ونسأل الله أن نكون ممن صدق في استسلامه لله وفي توحيده وفي يقينه.

وهذا الأمر لا زال يتكرر، ففي الآية التي تليها يخبر الله -عزّ وجلّ- عن حالهم بعد ما بين حال الناجين حقًا الذين (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

وهذا صراع في داخلهم، وهذا أمر مهم أن نفهمه، بعد ما كانوا متفقين كما في أول السياق (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا) وهذا إنما هو (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) إذًا هم مجتمعون فقط على إرادة ردّ أهل الإيمان عن إيمانهم! وهذا حسد، فهم مجتمعون على المكائد، وهذا بعدما تبين لهم ما خصّ الله به هذه الأمة من الإيمان، فهم على الإيمان يحسدوننا، فنحن نعرض عنهم، ومتأكدون أن ربنا سينصر الحق، وواثقون (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فبماذا نشتغل؟ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ

---

[2] () النور: 39.

تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ) كونوا مطمئنين فالخير الذي تقدمونه إنما تقدمونه لأنفسكم.

إذا كان هذا هو الحال، وتعلمون كما أخبر -سبحانه وتعالى- (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فلا بد أن تعلموا أنهم، وإن اتفقوا على عداوتكم فهم مفترقين في أصلهم، فاليهود يقولون إنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديّ، والنصارى يقولون لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيّ.

اليهود ينفون أن يدخل حتى النصارى الجنة، والمسلمون أولًا، والنصارى ينفون أن يكون اليهود داخلين الجنة والمسلمون أولًا، فهم في نفسهم متفرقين، لكن ستظهر الفرقة أكثر. رد عليهم رب العالمين وقال لهم: (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ويتضمن هذا الأمر أنهم كاذبون، وبيّن رب العالمين -الحمد لله- من فضله، كيف يصل الإنسان إلى جنات النعيم، بأن يسلم وجهه لله وأن يكون في ذلك محسنًا، موحدًا صادقًا، راغبًا فيما عند الله، فيتبع رسول الله ويقوم بالأعمال كما يجب عليه، هذا فليطمئن أن أجره عند ربه لا يضيع وأنه سيطمئن في يوم يخاف الناس فيه وأنه لن يحزن على أي شيء فاته، بل سيكون في حالة من السكينة والطمأنينة هنا في الدنيا وحين يصل إلى رب العالمين.

سنجد أنهم مفترقين غاية الافتراق (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ

شَيْءٍ) أي أنهم ليسوا على شيء يعتد به، وهذه مبالغة عظيمة، يعني أنهم لا شيء، لكنهم في البداية كانوا متفقين على أهل الإسلام ثم أظهر رب العالمين أنهم في داخلهم مفترقين؛ فاليهود تقول إن النصارى ليسوا على شيء، والنصارى تقول إن اليهود ليسوا على شيء، هذا وحالهم: (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ) حالهم أنهم من أهل العلوم والتلاوة للكتب، والحق أن مَن حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به، لا يكفر بالباقي لأن كل من الكتب مصدق لما وراءه وشاهد لصحته لأن التوراة مصدقة لعيسى -عليه السلام- والإنجيل مصدق لموسى- عليه السلام- والتوراة والإنجيل مصدقان للنبي -صلّى الله عليه وسلّم-، فهل يعقل أن يكذّب الإنسان الحق بعدما يعرفه بهذه الطريقة؟!

نعود من أول السياق ونتذكر شيء مهم: الحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أخبار عظيمة وكثيرة في ديننا تخبر عن الحاسدين الذين يعميهم الحسد فيجعلهم يضحون بأنفسهم من أجل أن يخرجوا هذا الحسد الذي أصابهم. إنهم يتلون الكتاب ومع ذلك لا ينتفعون من هذا العلم، وهذا أعظم مصاب يصابه الإنسان؛ أن يكون معه علم لكن لا ينتفع به، فإذا سمعنا هذه الأخبار عن هؤلاء القوم فليكن الأمر على بالنا ولنكن متخوفين من أن يكون فينا شبه منهم؛ لأن هؤلاء معهم كتاب (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ) ومع ذلك عندهم عقائد

باطلة وعندهم أمور لا تصلح أن تصدر ممن معه كتاب، فهل يقرؤون كتابهم وتكون هذه دعاواهم؟ هذا أمر غريب!

ما حال أهل الإسلام مع الكتاب؟

هل نحن نتلو الكتاب ونفعل ونتبصر بما أمرنا الله به؟ الله المستعان! إن مثل هذه الأخبار عندما نسمعها تجعلنا نفتش في أنفسنا ونعرف أن الإنسان يمكن أن يتلو الكتاب ويتلو حروفه حرفًا، حرفًا، أتقن ما يكون، لكن يكون مثل الجهلة! لذلك اسمع ما يقول الله -عزّ وجلّ- : (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) هؤلاء الذين يقرؤون الكتاب شبّههم الله بالجهلة الذين ليس لهم كتاب؛ الذين هم في ضلال تام، وهذه غاية العيب، أن يسوى حالهم مع علمهم، بحال الجهلة، في أن يكون دينهم باطل، فهذا أمر خطير (كَذَٰلِكَ) مثل هذا القول (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الذين لا يعلمون قالوا إن اليهود ليسوا على شيء وأن النصارى ليسوا على شيء، فإذا قال هذا القول الذين لا يعلمون، وكان قولهم مثل قول الذين يعلمون، علم أن الذين يعلمون لم يستفيدوا من علمهم، إنما هم في قولهم وحالهم مثل الذين لا يعلمون! لو أتى الجهال الذين لا يعرفون الله ولا يعرفون الرسل ولا يعرفون الرسالات، مثلما كان عليه كفار قريش، لو أتى هؤلاء وقالوا إن اليهود ليسوا على شيء وإن النصارى ليسوا على شيء وإن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ليس على شيء، سنقول: هؤلاء لا يعلمون الرسالة ولا يعلمون الكتاب، لكن عندما يكون قول

اليهود وقول النصارى وقول مشركي العرب أو المشركين عمومًا، أو الوثنيين الذين لا يعرفون الوحي ولا الكتاب ولا الرسل، لو تساوت أقوالهم معنى ذلك أن الذين معهم كتاب جهال مثل أولئك لأن الأقوال مثل بعضها، وهذه الأقوال غاية في البعد عن الحق. فلنكن على حذر في عقائدنا وأقوالنا، إننا قد ميّزنا رب العالمين بأن علّمنا الاعتقاد السليم في كل شيء، علّمنا الاعتقاد السليم في خلقه للسماوات والأرض فأخبرنا أنه خلقها، علّمنا الاعتقاد السليم في ملائكته فبيّن لنا أنه -سبحانه وتعالى- خلقها على صفة معينة، بحال معينة لوظيفة معينة، علّمنا كيف بدأ خلقنا، كيف خلق آدم وكيف كرّمه -سبحانه وتعالى- علّمنا أمور عظيمة! فهل يمكن أن نترك كل ما علّمنا الله ونقول في هذه الأمور العظام كقول الذي لا يعلمون؟ هل يمكن هذا؟ هذا يترتب عليه شيء خطير، أننا كأننا لسنا حاملين للكتاب إذا كان قولنا مثل قول الذي لا يعلمون، هذا غاية في الذم، فلنحذر حذرًا عظيمًا من أن تكون أقوالنا، ونحن نتلو الكتاب، كأقوال الذين لا يعلمون، فالله الملك العظيم يحكم بينهم لأن الله لم يخلق الخلق سدى، إنما خلقنا للاختبار (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فالأمور لن تضيع، فسيبيّن رب العالمين كذب هؤلاء جميعًا، ويبيّن صدق المؤمنين من أهل الكتاب، من أهل التوراة والإنجيل والقرآن، فيحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفا فيه، والله أعلم كيف ستكون أحوال الخلق، فلتكن منا مراعاة عظيمة حال تلاوتنا

لكتاب الله، أن تكون عقائدنا إنما هي مما أخبر به الله، وليس مما قاله الخلق. ولا عبرة هنا بالكثرة، فإن الخلق أكثرهم لا يعلمون الحقائق فلا تكن مع الجاهلين، كن مع المؤمنين المتقين. وانظر إلى حال هؤلاء المفسدين الذين تعدى إفسادهم وحسدهم أن يكون شيئًا في نفوسهم إلى أن يكون عملًا، فتجدهم يمنعون مساجد الله أن يكون فيها اسمه، فهؤلاء اليهود والنصارى والذين لا يعلمون يشتركون في السعي في خراب كل مكان يذكر فيه اسم الله، يشتركون في السعي في إطفاء نور الله، لكن أهل الإيمان، وهم متوكلون على الله، صابرون على ما أصابهم، منكسرون بين يدي الله، داعون الله، باذلون كل الجهود، ينشرون الحق بين الخلق فيكونوا جندًا لله، ليبقى دائمًا ذكر الله. وقد توعد الله هؤلاء توعدًا عظيمًا في أنهم لا يدخلونها إلا وهم في حال الخوف، وأنهم سيكون لهم في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم. وهذا كله يعيدنا مرة أخرى لما نحن به واثقون أنه سيأتي أمر الله، سيأتي الله بأمره كما أخبرنا (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) سيأتي أمر الله وسيكون على هؤلاء عذاب الله.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

عندما يقول أحد: لكن نحن نجد هنا ضيق وهنا ضيق ولا نستطيع أن ننشر دين الله؟ يقال لنا: يا أولياء الله إذا منعتم من

أي باب من الأبواب اعلموا أن الله منّ على هذه الأمة بأن جعل هذه الأرض كلها مسجدًا وجعل في كل باب لها أجر، فهذه تسلية لأهل الإيمان، إذا كانوا هم يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ويسعون في الخراب فلتذكروا الله ولتصلوا أينما كنتم لأنه لا تختص به جهة دون جهة، فالله ملكه لكل الأرض ولكل الجهات، فمهما حصل من تخريب فإن رب العالمين يفتح لكم أبواب أخرى تلجون منها؛ لذلك قال:

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) بمعنى أن هذه الأرض كلها لله (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) سبحان الله، هنا صفة عظيمة لله، هذه الآية فيها إثبات الوجه لله تعالى على الوجه اللائق به تعالى وأن له وجه لا تشبهه الوجوه. فلتكن مخلصًا ولتتوجه بوجهك لوجه الله، وقد قيل لنا: (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) فلتسلم وجهك لوجه الله ولتخلص لله ولا تطلب جزاء على ذلك إلا من الله، إن الله واسع عليم -سبحانه وتعالى- تصور هذا المعنى العظيم، معنى اسم (الواسع) هنا، واسع الفضل والصفات عظيمها، في سعته -سبحانه وتعالى- يجد الخلق كل ما يريدون، هذا الاسم علينا أن نتدبر معانيه وعلينا أن نرى آثاره في حياتنا، فهو -سبحانه وتعالى- وسعت رحمته الخلق أجمعين، ووسع رزقه الأولين والآخرين، لا تجد أحد إلا وهو يأكل من رزق الله، فهو الذي يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود

والإفضال والتدبير -سبحانه وتعالى- فهو الغني الذي وسع غناه كل فقر العباد، ووسع رزقه جميع خلقه.

فعقيدتنا في هذا الاسم العظيم تجعلنا شديدي الطمع في رب العالمين، فهو الواسع في صفاته لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان، والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم، به يتعلق كل إنسان إن كان مريضًا فيتعلق بسعة شفائه وعطائه، إن كانت عظامه مكسورة فهو الذي يجبر كل كسير، إن كانت عظامة متآكلة فهو يحيي العظام وهي رميم، إن كان لحمه قد سقط عن عظمه هو الذي يكسو العظام لحمًا، هو الرب الواسع العظيم، سبحان ربنا العظيم! من سعته أن جعل رحمته مئة جزء فأمسك عنده -سبحانه وتعالى- تسعًا وتسعين جزء، وأنزل في الأرض جزء واحدًا، كما في الحديث، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى أن الفرس ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.

الله -عزّ وجلّ- آثار سعته واضحة على الخلق، الإنسان لو كان عنده ملك بسيط واسع يعتريه الذهول، أما الله -عزّ وجلّ- فهو مع سعة ملكه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لو كان عندك ملك كبير تذهل عنه وتنساه ولا تعرف ما فيه، لكن الله -عزّ وجلّ- مع سعة ملكه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ لذلك هو واسع عليم، هذا يزيد تعلق العبد بربه ويزيد لجوئه إليه، ويزيد سؤاله من فضله.

ولنعلم أن كل شيء يأتي في وقته، بمعنى أنك لا تيأس أبدًا، وتطمع دائما في رحمة الله وفي عطاء الله وفي رزق الله وفي شفاء الله، دائما تطمع في أن يوسع الله عليك في فهمك للقرآن، يوسع عليك في صحتك وفي عافيتك وفي مدخلك وفي مخرجك، وكل شيء يكون في وقته، فهو واسع عليم، واسع الصفات عظيمها، عليم بالسرائر والنيات، فمن سعته -عزّ وجلّ- أن وسع علينا، حتى الأوامر والنواهي واسعة، سبحان الله، انظر إلى الأوامر المتصلة بالصيام، كيف وسعها رب العالمين، وبالقيام، وبكل شأن، فالحمد لله الواسع العليم!

الحمد لله الذي بصرنا بالقرآن وعلّمنا ونسأله -عزّ وجلّ- أن يزيدنا علمًا وإيمانًا، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

اللقاء الأول 3

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 4

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) 7

(وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) 9

(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) 10

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) 12

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) 17

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) 17